الشعر المصرى فى مائة عام

للاستاذ سيد كيلانى

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

من ١٨٨٢ — ١٩١٩

— ٧ —

وكان شوقى الشاعر الوحيد الذى اهتم بالدفاع عن اسماعيل.

أما بقية الشعراء فقد أهملوا ذلك إهمالا تاماً. بل إن منهم من شاطر كرومر رأيه فى ذلك الخديو. ومن هؤلاء حافظ ابراهيم.

وكان لورد كرومر قد كتب تقريراً ضمنه بعض الطاعن فى الدين الإسلامى. فأغضب بجهله وقصر نظره المصريين أجمعين. وقد هب الشعراء على اختلاف نزعاتهم وتباين ميولهم للنيل من كرومر. فقال شوقى:

من سب دين محمد فمحمد متمكن عند الإله رسولا

وقال الكاشف:

وختمت عهدك بالذى اهتزت له أركان مكة واستعاذت يثرب

وقال:

وتهين دينهم وتنكر عرشهم ولواءهم وتريد ألا يغضبوا

وقال أحمد نسيم — وهذا من المضحك بعد ما تقدم له من مدح فى كرومر:

يا لورد هل لك فى الإسلام من غرض
ترمى إليه بسهم منك مسنون
أندرت مدحك لو لم ترتكب شططا
فى أخرياتك من حين إلى حين
هجوت قومى وما فارقت أرضهم
حتى تجرأت أن تنحى على الدين
ألم يكن دين طه خير ما نهضت
به البـــلاد إلى علم وتمدين
فكل معتنق للدين معتقد
هاجت ثوائره من بعد تسكين
أنا المثال قضيت العمر مبتهجاً
بما أتيت بقلب فيك مفتون
رأيت أنك لست المرء تصلحنا
ولست فينا على مصر بمأمون
غادرتها وهى للتقرير صارخة
إلى الإله بقلب منك محزون
فلا رماك الحيا إلا بداجنة
تهمى عليك بزقوم وغسلين

ومن قرأ البيت الأخير من القصيدة، وقوله قبل ذلك فى لورد كرومر:

هو من ينطق بلسانى ويدين بدينى ويعنى به اتحاد القوميين فى اللغة والدين.

وقد وضع هذا المفكر الكبير مبادىء القومية الصحيحة فى كتابه السالف الذكر مقسما إياها إلى روابط اللغة والدين والأدب والأخلاق والحقوق والاقتصاد والسياسة والفلسفة، ومن ثم شرح هذه الفروع الأساسية شرحاً وافياً وقال فى مبحث (الرابطة الدينية) إن الترکى ورث عن ماضيه خزائن جد ثمينة من مواريث الدين والأخلاق ينبغى علينا — نحن الترك — أن نأخذها بنظر الاعتبار فى سلوكنا فى سبيل الرقى والحضارة. فيكفينا اليوم الرجوع إلى ماضينا لنتخذ من تراث أسلافنا مدنية عالية عظيمة نبنى عليها كيان قومنا، كما يجب ألا ننسى نصيبنا من النهضة الاوربية الحديثة بخلاف الأمم غير الاسلامية، فإنها عند اتباعها المدنية فى الوقت الحاضر عليها أن تبتعد عن ماضيها ... (وللايضاح راجع كتابه السابق الذكر).

وخلاصة الفلسفة التى يرمى إليها كوك آلب يرتكز على جعل تركيا مكونة من شعب تركى ينهض بآدابه وأخلاقه وتراث أجداده ويتمسك بالعقائد الإسلامية الصحيحة والمبادىء الدينية السليمة، كما يأخذ قسطاً وافراً من المدنية الاوربية الحاضرة.

عطا الله ترزي باشى

بغداد

فسر مع اليمن مصحوباً بأدعية يحف ركبك تعظيم وتبجيل

لم يملك بفسه من الضحك. ولاشك فى أن أحمد نسيم عبر فى هذه الأبيات عن شعور كامن فى نفسه وعاطفة دينية قوية أنسته ما دبجه قبل ذلك من إطراء وثناء فى كرومر .

وقال حافظ ابراهيم :

وأودعت تقرير الوداع مغامزا رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا
غمزت بها دين النبي ، وإننا لنغضب إن أغضبت فى القبر أحمدا

وقال من قصيدة يرثى فيها مصطفى كامل :

قم وامسح ما خطت يمين كرومر جهلا بدين الواحد القهار

وفى عام ١٩٠٨ مات مصطفى كامل فحزنت لوته الأمة بأجمعها. وبكى الشعراء لهذا المصاب الفادح .

« D D

وقد أخذ المصريون فى هذا الطور (١٨٨٢ — ١٩١٩) يهتمون بأنباء العالم الخارجى وازداد الاتصال بين أوربا ومصر . فلما قامت الحرب بين روسيا واليابان وانتصرت اليابان فى عام ١٩٠٤ ابتهج المصريون ونظم الشعراء فى ذاك القصائد الطوال .

ولما انتصر الأحرار فى تركيا وظفروا بالدستور اهتزت المشاعر فى مصر طرباً وابتهج المصريون أجمعون ، وتمنوا أن تتحقق آمالهم فى الحياة النيابية كما تحققت آمال الترك . وتاقت نفوسهم إلى الظفر بالحكم الشورى الذى تمتع به الناس فى تركيا . ونظمت فى ذلك قصائد كثيرة رائعة تفيض بالحماس وتزخر بالعواطف الوطنية الصادقة . فقال حافظ من قصيدة :

وياطالبي الدستور لاتسكنوا ولا تبيتوا على يأس، ولا تتضجروا
أعدوا له صدر المكان ، فإنني أراه على أبوابكم يتخطر

ومنها :

لقد ظفر الأتراك عدلا بسؤلهم ونحن على الآثار لا شك نظفر
هم لهم العام القديم مقدر ونحن لنا العام الجديد مقدر

وقال شوقى :

ما بين آمالك اللاتى ظفرت بها وبين (مصر) معان أنت تدريها

وقال اسماعيل صبرى :

يا مصر سيرى على آثارهم وقفى تلك المواقف فى أسنى مجاليها

لا يؤيسنك ما قالوا وما كتبوا بين البرية تضليلا وتمويها

ومنها :

يا آية الفخر هلا تنزلين كما نزلت ثم على مصر وأهليها
كيما نجر ذيولا منك جررها من قبلنا الترك فى أوطانهم تيها

* * *

ولما وقعت الحرب الطرابلسية الإيطالية اتجهت عواطف المصريين نحو الطرابلسيين . وللشعراء قصائد كثيرة فى استهجان عمل إيطاليا وفى حض المسلمين على مؤازرة أهل طرابلس .

ولما نشبت الحرب بين الدولة العلية والدول البلقانية تغنى الشعراء فى مصر بما أحرزه الترك من انتصارات .

وفى عام ١٩١٤ م اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى فى أوربا وامتد شررها فى جميع جهات العالم . وأعلنت الأحكام العرفية فى مصر ونفى شوقى إلى الأندلس . وخرس الشعراء وانقطعوا عن الخوض فى السياسة انقطاعاً تاماً .

وامتاز هذا الطور بظهور بعض المصلحين الاجتماعيين كقاسم أمين ومحمد عبده . وقد ساهم الشعراء بشعرهم فى الدعوة إلى الإصلاح . أما فيما يتعلق بالمرأة فقد انقسم الشعراء إلى شيع وأحزاب . فمنهم من ناصر هذه الدعوة وعضدها . ومنهم من حاربها وشدد النكير على أصحابها . ومنهم من توسط بين الحرية والتقييد .

ننتقل بعد ذلك إلى الدور الثالث الذى يبدأ من عام ١٩١٩ وينتهى بعام ١٩٥٠ م .

الدور الثالث

١٩١٩ — ١٩٥٠

كانت ثورة ١٩١٩ حداً فاصلا بين عصرين . عصر الاحتلال ثم الحماية . وفى هذا العصر كانت للانجليز الكلمة العليا فى كل صغيرة وكبيرة . وكان الموظفون البريطانيون متمتعين بسلطان مطلق فى كل مرافق البلاد ومصالحها . وقد عانى المصريون من ذلك ألماً عظيماً . وظهر أثر هذا فى الشعر على نحو ما بينا . وكان اليأس مخيما على النفوس ، والأمل فى الخلاص من نير الاحتلال يكاد يكون مفقوداً ، وقد عبر الشعراء عن هذا اليأس والقنوط فى شعر كثير .

فلما قامت الثورة قويت الآمال فى التخلص من نير المستعمر وأخذ الشعراء ينذرون الثورة بشعر حماسي رائع .

وقد ترتب على هذه الثورة أن ظفرت البلاد بقسط وافر من الحرية وتخلصت من نفوذ الموظفين البريطانيين . ثم تمتعت بعد ذلك بدستور ومجلس نيابى . فتغنى الشعراء بهذا النصر العظيم .

وبينما كان المصريون يجاهدون فى سبيل الحرية كانت الشعوب الشرقية تجاهد كذلك . وكان جهاد الترك أروع جهاد . وقد أحدث انتصارهم بقيادة مصطفى كمال رنة فرح وسرور فى مصر . ونهض الشعراء ونظموا القصائد الكثيرة فى مدح أبطال تركيا وإطرائهم والتنويه بانتصاراتهم .

ثم حدث أن ألغيت الخلافة العثمانية وحلت محلها حكومة جمهورية . ومع أن الخلافة العثمانية أضحت عديمة الجدوى للشعوب الإسلامية منذ زمن بعيد ، رأينا فى مصر شعراء كثيرين يبكون بكاء مراً لزوال هذه الخلافة ، وينددون بمصطفى كمال وأعوانه ويرمونهم بالكفر والإلحاد .

وبإلغاء الخلافة انقطعت كل رابطة بين مصر وتركيا وانقضى العهد الذى كان فيه الشعراء ينظمون القصائد الطوال فى مدح سلاطين آل عثمان أو فى تحية الأسطول العثمانى أو الجيش التركى ، أو غير ذلك مما رأيناه عند الشعراء إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى . وأصبح الشاعر المصرى يعيش لمصر وحدها بعد أن كان مقسم العواطف بين مصر وتركيا . وبانسلاخ تركيا عن الشرق اختفى ذكرها من الشعر العربى اختفاء تاماً .

على أن هناك روابط جديدة نشأت بين مصر والدول العربية التى قامت على أنقاض الإمبراطورية العثمانية . وكانت هذه الروابط فى أول الأمر ضعيفة . ثم أخذت الشعوب العربية تتطلع إلى مصر ، وأخذ المصريون يمدون أيديهم إلى هذه الشعوب . وكان لتقدم المواصلات أثر بين فى تقريب الشقة بين المصريين والعرب . وقد انتهى الأمر بقيام جامعة الدول العربية فأصبح الشاعر المصرى لا يعيش لمصر وحدها بل يعيش للعالم العربى . ذلك لأن الشر الذى يقع على دول من هذه الدولة قد لا يقف عند حدودها بل ربما امتد أثره إلى مصر . ولهذا السبب دخلت مصر الحرب ضد اليهود وذلك لشعورها بالخطر العظيم الذى يمكن أن يهددها بقيام دولة يهودية فى فلسطين . وقد تغنى الشعراء المصريون بالنصر الذى أحرزه الجيش المصرى ضد اليهود ، كما نوهوا بجهاد أبطال الفالوجة

ولا شك فى أن قيام دولة يهودية فى فلسطين سيدفع مصر إلى العناية بجيشها عناية لا مثيل لها من قبل فى تاريخ البلاد . وسيظهر أثر ذلك فى الشعر فنرى الشعراء يكثرون من التنويه بالجيش المصرى ومعداته وأسلحته وذخائره وبسالته وإقدامه

ووقعت فى مصر بين (١٩١٩، ١٩٢٧م) وهو العام الذى توفى فيه سعد زغلول أحداث سياسية لا نظير لها . وكان الشعراء يسجلون فى شعرهم ما يصيب البلاد من خير أو شر ، وما يلحقها من فرح أو حزن

ولما مات سعد زغلول بكته مصر قاصيها ودانيها وبكاه الشرق العربى بأجمعه ، ورثاه الشعراء فى قصائد طويلة . ولم يسبق أن رثى شخص فى العصر الحديث بمثل ما رثى به سعد زغلول . فالقصائد التى قيلت فيه عند وفاته لا يدركها الحصر . ومالبث الشعراء ينظمون القصائد الطوال احتفالا بأحياء ذكراه

إلى هنا ننتهى من الكلام عن الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية فى مصر من عام ١٨٥٠ — ١٩٥٠م

سيد كيلانى

اعلان

تعلن وزارة العـــدل عن رغبتها فى استئجـــار مبـــنى يحى عابدين أو قريبـــا منه يشتمـــل على ست غرف وقاعـــه تصلح للجلسات ويكون له فنـــاء للمتقاضين وتقـــدم الطلبات للوزارة بالدقهلـــة لقسم المبانى مباشرة فى ميعـــاد نهايته ٢٧ ينـــاير سنة ١٩٥٠ موضحـــا بها موقـــع المبنى ومشتملاته ووصفـــه مع تقـــديم رسم هندسي عنه

٤٠٠٦